شعر الخليل بن أحمد الفراهيدي (نظرة تحليلية)

عمر عبدالرحمن الساريسي*

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة ما جمع ونشر أخيراً للخليل بن أحمد الفراهيدي(١٧٠هـ) من شعر. وقبل ذلك لم نكن نقرأ له سوى أبيات قليلة. ولدى النظر في هذه المقطوعات الشعرية المحققة للخليل، تبين أن بعضها غير صحيح النسبة إليه. أما موضوعاتها فقد توافر بعضها على حكم ونظرات صائبة، وورد في بعضها أفكار وأخلاق إسلامية، وجاء في بعضها مواقف اجتماعية حادة. وأما قيمتها الفنية فتبدو في صدقها الفني ومدى تسجيلها بدقة لحياة قائلها وأخلاقه، وفي بساطة تراكيبها اللغوية، وفي جمال بعض الصور الفنية الواردة في بعض أبياتها. إنها تقترب من أشعار الفقهاء، في أسلوبها المباشر واقتصارها على المقطوعات الشعرية القصيرة.

التقديم

يغلب على الظن أن يكون للخليل بن أحمد الفراهيدي إلف بالشعر وبصناعته، فلا يعقل أن يتعرض للشعر العربي فيحصر ألحانه في أوزان عروضية محددة، دون أن يكون على بصر كاف به واقتدار عليه.

وقد كنا نقرأ له البيتين أو الثلاثة منثورة في ثنايا أخباره، في كتب الطبقات والتراجم[١]، وحينما جمعت هذه الأشعار كان جمعها حافزاً على النظر فيها ودراستها. ولذلك كان هذا البحث محاولة لتكوين فكرة عن شعر الخليل بن أحمد وأبرز موضوعاته وقيمته الفنية والاجتماعية.

حياته

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي. والفراهيدي نسبة إلى الفراهيد، بطن من الأزد[٢]. ولد في البصرة عام ٩٦هـ في خلافة سليمان بن عبد الملك الأموي، وفيها عاش سني عمره[٣]، وفي رواية أخرى أنه ولد في عُمان، وتوفي

---

* أستاذ مشارك، كلية الآداب، جامعة الزرقاء الأهلية، الزرقاء – الأردن.

١. تجد ترجمته في:
- الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠، ٧٢/١١.
- ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، بلا ت، ١٧٢/١.
- الزبيدي، أبو بكر، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ص٤٧.
- السيرافي، **أخبار النحويين البصريين والكوفيين**، تحقيق محمد ابراهيم البنا، دار الاعتصام، ١٩٨٥.
- السيوطي، جلال الدين، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، ص٥٥٧.
- اللغوي، أبو الطيب، **مراتب النحويين**، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، ص٤٧.
- الحنبلي، ابن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ٣٢١/٢.
- ابن المعتز، عبد الله، **طبقات الشعراء**، تحقيق عبد الستار فراج، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٩٦.

٢. الشدياق، أحمد فارس، **الجاسوس على القاموس**، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ١٩٢٩، ص٢٢.

٣. الشريشي، أحمد ابن عبد المؤمن القيسي، **شرح مقامات الحريري**، بإشراف محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٥٢، ٦٠/٤.

عــام ١٧٠هـــ في خلافة الرشيد، من بني العباس.

فطــر الخلــيل على سرعة البديهة وقول الحــق والجهــر به منذ صغره، كما يفهم من إجابــته للفــرزدق، حينما مر وهو على بغلته بصــبية صــغار يلعبون في بعض الطرقات، فالتفــت إلــيه الأطفــال، وأحسوا بالرهبة من عينــيه الموجهتين إليهم، فتفرقوا، إلا الخليل فثبــت، وحيــنما قــال الفرزدق عن هؤلاء الأطفال:

نظروا إليك بأعين محمرة

نظر التيوس إلى مدى القصاب

رد الخليل الصغير: "نظرنا إليك لأنك مليح كما نظرنا إلى القرد لأنه مليح"[٤].

ولــم تقــدم لنا المراجع التي تحدثت عنه المــزيد عــن نشــأته وعن صباه، إلا "أنها أجمعــت علــى انــه عاش حياة الفقر الشديد، حــتى أنــه يــنقع الخبز اليابس ليسهل عليه بلعه"[٥].

وكــان على فقره متعففاً عن مسألة الناس، مــترفعاً بنفسه عن مدح القادرين على العون، فلم يعرف في حياته، أنه قصد أحدهم لمدحه، وإنه لقادر على ذلك لو أراد، بل إنه قد رفض دعوة أمير هاشمي له في السند لزيارته، فرد هداياه وقال لرسوله:

أبلغ سليمان أني عنه في سعة

وفي غنىغير أني لست ذا مال

ووراء تلــك العفــة زهد عن ملذات الدنيا وقــناعة بالقلــيل القليل منها، زهد منطلق من تديّن شديد جعله من الزهاد المنقطعين إلى الله تعــالى[٦]. وقــد قضــى حياته في خص في البصرة، وهو بيت من القصب، أو سقفه على الأقل من القصب.

ولــم يكــن لــيحفل بلباسه أو مظهره بين الــناس[٧]، ومــع هذا كله فإنه كان يملأ عيون جلســائه، وكــان أتــم ما يكون في شهادات معارفــه وتلامــيذه، فعلــيه هيــبة العلماء. فالكسائي يقول حينما توفي الخليل:" مات والله الفهــم يــوم مات الخليل.لو رأيته لم يعظم في عينك بشر بعده"[٨].

وسفيان الثوري يقول :"من أحب أن ينظر إلــى رجــل مــن الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد"[٩].

ومــردُّ هذه الهيبة وهذا التوقير الشديد ما فطــر عليه الخليل من ذكاء، وما حصّل من العلــوم وما ترك من آثار في هذه العلوم: إن الخلــيل كان الغاية في استخراج مسائل النحو العربي، وفي تعليله[١٠].

فقــد استنبط من علل النحو ما لم يستنبطه أحــد وما لم يسبقه إلى مثله سابق[١١]، ويقول باحــث معاصــر إنــه شيخ أسانيد النحو في البصرة[١٢]، وهو أستاذ سيبويه وعامة الحكاية في كتابه عنه، وكلما قال سيبويه: "وسألته" أو

٤. الزبيدي، **مراتب النحويين**، ص٦٢.

٥. الضامن، حاتم، **عشرة شعراء مقلون**، ص٢٢١.

٦. الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، ٧٤/١١.

٧. الشريشي، **شرح مقامات الحريري**، ٢٤٧/٢.

٨. الضامن، حاتم، **عشرة شعراء مقلون**، ص٢٢١.

٩. الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، ٧٤/١١.

١٠.السيرافي، **أخبارالنحويين البصرين والكوفيين**، ص٣٨.

١١. الزبيدي، **طبقات النحوين واللغويين**، ص٤٧.

"قـال" من غير أن يذكر قائله فهو الخليل"[١٢]، وفـي عـبارة الباحث المعاصر:" هو، يعني الخلـيل، الشـيخ الذي تتلمذ له سيبويه فوضع الكتاب دستور النحو"[١٣].

واللغـة هـو المبتكر لأصولها ومبتدئ فن القوامـيس مـنها[١٤]، بوضعه أصول القاموس العربـي الأول (معجـم العين)، فضبط اللغة، وأكمـل هذا القاموس من بعده تلميذه الليث بن نصـر بـن سيار[١٥] ثم تتالت من بعده أشكال المعجم العربي.

أمـا العروض فلم يسبقه إليه أحد من قبله، وفـي هـذا يقول حمزة الأصفهاني: "إن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم، التي لم يكن لها اصـل عند علماء العرب، أفضل من الخليل. ولـيس علـى ذلـك بـرهان أوضح من علم العـروض، الـذي لا عن حكيم أخذه ولا عن مثل تقدمه احتذاه، وإنما اخترعه، في ممر له بالصفارين، من وقع مطرقة على طست"[١٦].

إن الأثر الكبير الذي يسجل للخليل في هذه العلوم ليعين على فهم قول ابن المقفع فيه:" ما رأيـت مثله، وعقله أكبر من علمه"[١٧]. ولعله يشـير إلـى قدرتـه على الإبداع والاختراع والكشـف أكثر مما ينقل من علوم السابقين. كمـا أن هذا الأثر في هذه العلوم ليحمل على تقريـب مـا قيل إنه دعا بمكة أن يرزقه الله تعالى علماً لم يسبق به"[١٨].

أما ما فطر عليه من الذكاء فربما تدل عليه الحكايـتان التاليتان المرويتان عنه، وإن كان ذكـاؤه لا يحتاج إلى إثبات، الأولى: "كان عند رجـل دواء لظلمـة العيـن، ينتفع به الناس، فمـات واحـتاج الناس إليه، فقال الخليل: أله نسـخة معـروفة؟ قالوا: لا، قال: فهل له آنية كـان يعمل بها؟ قالوا: نعم. قال: جيئوني بها. فجـاؤوه، فجعل يشم الإناء ويخرج نوعاً نوعاً حـتى أخـرج خمسة عشر نوعاً، ثم سأل عن جمعهـا ومقدارها. فعرف ذلك، فعمله وأعطاه الـناس، فانـتفعوا به، ثم وجدت النسخة في كتـب الـرجل، فوجدوا الأخلاط ستة عشر خلطاً، كما ذكر الخليل لم يفُته إلا خلط واحد".

إن هـذه الحكاية، إن صحت، لتدل مع ما عرف عن الخليل من إبداعات علمية، على أنه يصـح مـا أطلـق علـيه مـن لقب"عبقري العرب"[١٩].

والثانية: "يروى أن ملك اليونانية كتب إلى الخلـيل كـتاباً باليونانية، فخلا بالكتاب شهراً حتى فهمه، فقيل له في ذلك، فقال: قلت إنه لا بـد لـه مـن أن يفتح الكتاب ببسم الله أو ما أشـبهه، فبنيت أول حروفه على ذلك. فاقتاس لي[٢٠].

إن هـذا الأثر الكبير في هذه العلوم ليزداد علـواً فـي نظر الباحث حينما يقرنه بتواضع صاحبه وقناعته بالقليل وعيش الكفاف.

أخذ الخليل عن أبي عمرو بن العلاء[٢١]

١٢. الضامن، حاتم، **عشرة شعراء مقلون**، ص٢٢١.

١٣. الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، ٧٢/١١.

١٤. الضامن، حاتم، **عشرة شعراء مقلون** ، ص٢٢١.

١٥. الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء** ، ٧٤/١١.

١٦. الضامن، حاتم، **عشرة شعراء مقلون** ، ص٢٢١.

١٧. الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين** ، ص٤٩.

١٨. الضامن، حاتم، **عشرة شعراء مقلون** ، ص٢٢١.

١٩. الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء** ، ٧٢/١١.

٢٠.الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، ص٥١.

٢١. أبـو عمرو بن العلاء من أئمة اللغة والأدب والرواية الموثوقـة، وأحـد القراء المشاهير، يوصف بأنه أعلم الـناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر، وكانت عامة أخـباره عن أعراب الجاهلية. ولد في مكة وعاش في

وروى عن أيوب[٢٢] وعاصم الأحول[٢٣]. وأخذ عنه الأصمعي[٢٤] (٤) وسيبويه[٢٥]، والنضر بن شميل[٢٦]، ومؤرج السدوسي[٢٧]، وأبو الحسن الكسائي[٢٨]، وسعيد بن مسعدة الأخفش[٢٩]:

وفاته

وقضى الخليل أغلب سني عمره في البصرة، "من الزهاد المنقطعين إلى الله تعالى يعلّم اللغة والنحو ويحصر أوزان الشعر وألحانه، حتى يظن الظانون من كتّاب العرب أنه أخذ علومه عن اليونانية"[٣٠].

وفي أخريات حياته كان يفكر في وضع طريقة حسابية تعين الجارية على أمرها. فهل هي جداول الضرب؟ الله أعلم.

وبينما كان مستغرقاً في التفكير وهو يدور في جنبات مسجد، إذا به يرتطم رأسه بأحد الأعمدة، ويسقط ميتاً، وذلك عام ١٧٠هـ في أغلب المراجع[٣١].

أخبار شعره في المراجع

تُردِّد كتب الطبقات والتراجم ما يقوله ياقوت في فضل الخليل، فهو أول من استخرج

البصرة وتوفي في الكوفة عام ١٥٤هـ. (السيوطي، **بغية الوعاة**، ٢/٢٣١، الترجمة ١٨٦٤).

٢٢. أيوب بن أبي تميمة، كيسان السختياني البصري، أبو بكر، سيد فقهاء عصره، من النساك الزهاد، من حفاظ الحديث، كان ثبتاً ثقة، توفي عام ١٣١هـ.(الأصفهاني **حلية الأولياء**)، ٣/٣.

٢٣. عاصم بن سليمان الأحول البصري، أبو عبد الرحمن، من حفاظ الحديث، ثقة، من أهل البصرة، كان في الكوفة على الحسبة، وكان قاضياً بالمدائن، اشتهر بالزهد والعبادة في عام ١٤٢هـ.(السيوطي، **بغية الوعاة**، ١/٨١، الحموي ، ياقوت، **معجم الادباء** ١٨/ ١٢٥).

٢٤. أبو سعيد، عبد الملك بن قريب، من أكبر علماء اللغة والرواية وأغزرهم مادة، وأوسعهم اطلاعاً وحفظاً، ولد في البصرة عام ١٢٢هـ وتوفي فيها عام ٢١٦هـ، كان يكثر من التنقل في أحياء العرب في البادية، ويأخذ عنهم اللغة والأخبار.(السيوطي، **بغية الوعاة**، ٢/١١٢، ١١٣).

٢٥. عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي-بالولاء- إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. ولد في بعض قرى شيراز، قدم البصرة فلزم الخليل، فصنف كتابه المسمى "كتاب سيبويه" في النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله، ناظر الكسائي في بغداد، توفي بالأهواز عام ١٨٠ هـ.(السيوطي، **بغية الوعاة ٢/٢٢٩**).

٢٦. أبو الحسن النضر بن شميل التميمي المازني، أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب، ورواية الحديث وفقه اللغة. ولد بمرو(في خراسان) وانتقل إلى البصرة وأصله منها، فأقام فيها زمنا ثم عاد إلى مرو قاضيا. اتصل بالمأمون، فأكرمه، توفي بمرو عام ٢٠٣هـ.(السيوطي ، بغية الوعاة ٢/٣١٦، ٣١٧).

٢٧. مؤرج بن عمرو بن حارث، من بني سدوس بن شيبان، عالم بالعربية والأنساب، من أعيان أصحاب الخليل، من أهل البصرة، كان له اتصال بالمأمون العباسي، ورحل معه إلى خراسان، من كتبه غريب القرآن، وكتاب الأمثال، وله شعر جيد، توفي عام ١٩٥ هـ.(السيوطي، **بغية الوعاة ٢/٣٠٥**).

٢٨. هو أبو الحسن، علي بن حمزة الأسدي بالولاء، الكوفي، إمام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة، قرأ النحو بعد الكبر، تنقل في البادية، وسكن بغداد، توفي بالري عام ١٨٩هـ، وهو مؤدب الرشيد وابنه الأمين، من مصنفاته: "معاني القرآن، والحروف، والقراءات". (الزبيدي، **طبقات النحويين** ١٣٨، القفطي، **إنباه الرواة ٢/٢٥١**)

٢٩. هو أبو الحسن، سعيد بن مسعدة الجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط، نحوي عالم باللغة والأدب، سكن البصرة، من كتبه" تفسير القرآن" وشرح "أبيات المعاني" و"معاني الشعر". توفي عام ٢١٥هـ.(السيوطي، **بغية الوعاة**، الحموي، ياقوت **معجم الأدباء** ١/٢٢٤). وقد عرف باسم الاخفش عالمان آخران أيضاً هما الأخفش الاكبر ١٧٧هـ، والأخفش الأصغر ٣١٥هـ.

٣٠. الضامن، حاتم، **عشرة شعراء مقلون**، ، ص ٢٢١

٣١. الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، ، ص٥١.

العـــروض، وهو أول من ضبط اللغة، وهو أول من حصر أشعار العرب[٣٢].

هــذا كله عرفه الباحثون وتناقلته المراجع عــن الأجــيال، أمــا فضل الخليل في قرض الشــعر والتأثــير به فلم يقف عنده إلا القليل. فابــن المعــتز (٢٩٦هــ) يقول: "كان الخليل ذكــياً فطــناً عالمــاً بأيام الناس وأخبارهم" ثم يضــيف "وكــان مع ذلك شاعراً مفلقاً وأديباً بارعــاً"[٣٣]. والشــاعر المفلــق، كمــا تقول المعاجم، هو الذي يأتي في الشعر بما يعجب. والزبــيدي الأندلسي (٣٧٩هــ) يقول: "وكان الخليل ذكياً فطناً شاعراً"[٣٤] وفي موضع آخر يقــول:"إنــه مهــد السبيل للحّون والنغم"[٣٥]. والســيوطي (٩١١) يقول عنه: "وهو ثقة ثبت صاحب غريب وشعر"[٣٦].

إن الخليل لم يحصر أوزان الشعر العربي فــي بحور العروض التي عرفت منه، بسبب معرفــته الفائقــة المتميزة بالأنغام الصوتية، فحســب، بل إنه صار واحداً من صانعي هذه الأنغــام الشعرية أيضاً. وهذا ما يمكن أن يفهم مــن أقــوال هؤلاء المترجمين، وتحاول هذه الورقــة إبــرازه، لكن من غير الواضح، من جهة أخرى، قول بعض المراجع: " إنه أحدث أنواعــاً مــن الشــعر غــير معــروفة عند العــرب".[٣٧] ولــم يوضح السيوطي ما هذه الأنــواع التي أحدثها الخليل في الشعر وليست من أوزان العرب.

٣٢. الحموي، ياقوت **معجم الأدباء**، ١١/٧٤.

٣٣. ابن المعتز، **طبقات الشعراء**، ص٩٦.

٣٤. الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، ص٤٧.

٣٥. المرجع السابق، ص٤٩.

٣٦. السيوطي، **المزهر**. ٢/٤٠٥.

٣٧. المرجع السابق، ٢/٤٠١.

كما لم يشر محقق مقطوعاته الشعرية إلى خروج فيها عن أوزان الشعر العربي وألحانه، التــي حصــرها الخلــيل نفســه في دوائره العروضية وبحوره التي سماها هو. ومن هنا يصــعب، في التصور، أن يخرج الخليل، في شعر يأتي به خارجاً على الشعر الذي عني به زمناً، حتى حصر للناس ألحانه.

علــى أني قد وجدته قد أتى، في مقطوعة واحدة، بما يسمى بخطأ التضمين في القافية، لدى الباحثين في العروض والقافية، وهو "أن تــتعلق قافــية البيت الأول بالبيت الثاني"[٣٨]، وذلك في قوله:[٣٩]

يا ذا الــذي يلحــى أمـــا
والله لـــو حــملت منه كما
حملت، من حب رخيم لمــا
لمت على الحب، فدعني وما
أطلب، إني لست أدري بمــا
أحــبــبــت، إلا أننــي بينما
أنا بباب القصر في بعض ما
أطلب، من قصرهم، إذ رمى
شــبه غــزال بسهام، فمـــا
أخـــطـــأ سهــماه، ولكنما
عينــاه سهــمان لــه، كلمــا
أراد قـــتـــــــلي بهما سلماً

فــنهاية البيــت الأول تكتمل بكلمة حملت في بدايــة الثانــي، والأمــر نفسه يتكرر في كل الأبيات. وهذا لا يجوز في الشعر العربي الذي كاد يعتمد على وحدة البيت. على أن في النفس

٣٨. الخطيــب التــبريزي، الكافي في العروض والقوافي، تحقــيق الحســاني حســن عبد الله، **مجلة المخطوطات العربية**، ص١٦٦.

٣٩. الضامن، حاتم، **عشرة شعراء مقلون**، ص٢٣٥.

مــن هذه الصيغة اللفظية كلها شيئاً. فهل كان لدى الخليل الوقت وفراغ النفس مما يشغل به نفســه بنظم يخرج عن أصول القافية، ويأتي بــنهايات صــدور الأبــيات بقــواف تذكــر بالموشــحات الأندلســية؟ أغلب الظن أن هذا الشعر محمول على الخليل حملاً.

جمع شعره وتحقيقه

لقــد قام حاتم صالح الضامن، بجمع أشعار عشرة من الشعراء المخضرمين، الذين عاشوا عصري الجاهلية والإسلام، أو عصري صدر الإســلام والأمويــن أو الأمويين والعباسيين، وذلــك فــي مدد مختلفة، منذ نحو ربع قرن، ونشــرها فــي المجلات العلمية كمجلة مجمع اللغة العربية ومجلة المورد(٤٠).

وفــي عــام ١٩٩٠جمع هذه التحقيقات في كــتاب أسماه" عشرة شعراء مقلون"، نشرته وزارة التعلــيم العالــي والبحــث العلمي في العــراق. وكــان الخلــيل بن أحمد واحداً من هؤلاء العشرة(٤١).

تقــع أشعار الخليل هذه في أربع وخمسين مقطوعــة شــعرية، أقلها بيت واحد وأكثرها تسعة، وكانت عدة أبياتها على النحو الآتي:

- المقطوعــات المؤلفة من بيت واحد عددها ست.
- المقطوعــات المؤلفــة مــن بيتين عددها عشرون.
- المقطوعات المؤلفة من ثلاثة أبيات عددها اثنتا عشرة.
- المقطوعات المؤلفة من أربعة أبيات عددها ست.
- المقطوعات المؤلفة من خمسة أبيات عددها ثلاث.
- المقطوعــات المؤلفة من ستة أبيات عددها ثلاث.
- المقطوعات المؤلفة من ثمانية أبيات واحدة.
- المقطوعات المؤلفة من تسعة أبيات واحدة.

وقــد أضاف المحقق إلى هذه المقطوعات خمس مقطوعات أخرى، أبيات كل منها بين البيتيــن والخمســة، وذكر أنها مما ينسب إليه وإلى غيره.

وبهــذا يتضح أن أغلبها لا يكاد يزيد على أربعــة أبــيات، فضــلاً عن أنها جميعاً تظل مقطوعــات قصــيرة ليس فيها قصيدة واحدة. ولعــل هــذا مــرده إلــى أن الخليل ليس من الشعراء المتفرغين للشعر، لا يمارسون غيره، وإنمــا هــو، في الأصل، صاحب لغة ونحو ومعــاجم وضابط لأوزان الشعر.وربما نعود لهذا في النظرة الفنية لشعره.

حول نسبة بعض الأبيات للخليل

وقــبل إجالة النظر في الموضوعات التي طــرقها الخلــيل في أبياته نعرض ما يخامر الذهــن مــن الشك في بعض هذه المقطوعات الشعرية.

- من ذلك الأبيات التي تبدأ بقوله:

الله ربــي والنبي محمــد

حيبا الرسالة بيّن الأسباب(٤٢)

فهــذه الابيات تبدو عليها سهولة التراكيب وبســاطة الأفكــار، فهي دون المستوى الفني

٤٠. الضامن، حاتم، عشرة شعراء مقلون،المقدمة.

٤١. المرجع السابق ٢١٩-٢٤٠.

٤٢. المرجع السابق، ص ٢٢٢

لسائر أبيات الخليل، فضلاً عما في هذا البيت من وزن مختل ومعنى غامض. ويبدو أنها من صنع متشيع أراد أن يمدح علياً، رضي الله عنه، وأبناء عترته. ولم يعرف عن الخليل أنه تشيع إلى هذا الحد.

- وقوله:

حسبك مما تبتغيه القوت

ما أكثر القوت لمن يموت[٤٣]

فهذا البيت يروى لأبي العتاهية من أرجوزة الأمثال[٤٤].

وفي أربعة أبيات[٤٥] تتردد كلمة تدري عشر مرات:

إذا كنت لا تدري ولم تك كالذي

يشاور من يدري فكيف إذن تدري؟

وأحسب أنها مصنوعة كلها، أو على الأقل بعضها، حمّلها للخليل أحد العابثين ممن ليس له عمل.

- وتدور ثلاثة أبيات[٤٦] حول العبارة التي يكثر ترديد النحويين لها"ضرب زيد عمراً"وفيها تصور أن المضروب اشتكى للقاضي لينصفه من الضارب، وتفوح منها رائحة السخرية بالنحو الذي كان الخليل فيه من أوائل العلماء البارزين المعنيين بعلله وقياسه، فضلاً عن أن عصر الخليل لم يشهد بعد ضيق الناس من كثرة ترديد عبارة "ضرب زيد عَمْرا".

- وفي أبيات أربعة أخرى[٤٧] [٦] عتاب يرفعه قائلها لأحد السراة المقتدرين بسبب إنفاقه على الكثيرين وبخله على القائل:

أبحسن منزلتي تؤخر حاجتي؟

أم ليس عندك لي لخير مطمع؟

ولم يرو في حياة الخليل أنه تقرب لسلطان أو انتظر إحساناً من حاكم، فكيف يعاتب على ما لم يعرف؟

- وفي ثلاثة أبيات[٤٨] تدور حول الإنعام والشكر أحسب أن يد الصنعة هي التي حبكتها وليست يد الخليل، وهذه الابيات هي:

وما بلغ الإنعام في النفع غاية

من الفضل، إلا مبلغ الشكر أفضل

وما بلغت أيدي المنيلين بسطة

من الطول، إلا بسطة الشكر أطول

وما رجحت بالمرء يوماً صنيعة

على المرء، إلا وهي بالشكر أفضل

وذلك لسببين، أولهما: أن البيتين الثاني والثالث مصنوعان على منوال البيت الأول، ففي الأشطر الثلاثة الأخرى من الأبيات جمل فعلية متشابهة فاعلها يأتي في نهاية الشطر. وفي الأشطر الثلاثة الأخرى من الأبيات يبدأ كل منها بجار ومجرور، يتبعهما أداة الاستثناء إلاّ، ثم كلمة الشكر يتبعها أفعل التفضيل وهذه صنعة مكشوفة نجلّ الخليل عن الوقوع فيها. أما السبب الثاني للشك فيها فهو أن الخليل لم يعن بموضوع إنعام المتفضلين والرد بالشكر عليهم من المحتاجين.

٤٣. المرجع السابق، ص٢٢٤.
٤٤. الأصفهاني ، أبو الفرج، **الأغاني**، طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية، الجزء الرابع، ص٣٦.
٤٥. الضامن، حاتم، **عشرة شعراء مقلون**، ص٢٢٦.
٤٦. المرجع السابق، ص٢٢٨.
٤٧. المرجع السابق، ص٢٢٩.
٤٨. المرجع السابق، ص٢٣١.

في بيتين[49] ذكر المحقق أنه أخذهما من شرح مقامات الحريري، وفيهما بدا إعجاب الناظم ببلاغة الإيجاز، وأحسب أن هذين البيتين قد صنعا في العصور العباسية المتأخرة، التي صار فيها للنقد الأدبي اصطلاحات معروفة، كبراعة الإيجاز، وفيها عبارة أقرب إلى الفلسفة والمنطق : صار كثير غيرك لي قليلاً.

وتتكرر القافية في ثلاثة أبيات ثلاث مرات، وهي كلمة"الغروب"[50]، حيث يكون لكل واحدة في كل بيت معنى، فيما يسمى في اللغة بالاشتراك. وأحسب أن مثل هذه العملية يمكن أن ترد في عصر الصنعة، في القرن الخامس الهجري وما بعده، وليس في زمن الإبداع، أواسط القرن الثاني الهجري، كما أن إظهار القدرة على اللغة والنظم لا تخطر في بال الخليل، صاحب معجم العين في اللغة.

ويداخلني الشك في مقطوعتين على صفحة واحدة[51]، الأولى تدعو إلى الصداقة والتكثر من الأصحاب، والأخرى تذكر الوحدة والأنس بها وتزيين لزوم البيت، "فلا أُزار ولا أزور" في كل الأحوال. ولما كان موضوعاهما متقاطعين، كما يبدو، فلا بد أن تكون إحداهما من غير شعر الخليل، وأحسب أنها الأولى التي تطلب بالإكثار من الأصدقاء، وذلك لانطباق الثانية على ما عرف من حياة الخليل من التمسك والتقشف والزهد والانقطاع لله تعالى؛ ولأن هذه المقطوعة قد رويت في ثلاثة مراجع غير معزوّة لأحد، أولها: كتاب الآداب الذي يذكره المحقق في تخريج هذين البيتين ص٢٢٦، وثانيها: كتاب الصداقة والصديق ، لأبي حيان التوحيدي ص٣٢٤، وثالثها: "رسالة من آداب الاختلاط بالناس، وقد حققتها أنا من مصنفات الراغب الأصفهاني، ونُشرت عام ١٩٩٨ في دار البشير بعمان، ص٧٨.

وهذا يقود إلى الاستنتاج إلى أن أحد مصادر المحقق في جمع شعر الخليل[52]، يدون في كتابه ما يسمع من شعر، دون أن يتحقق من نسبته إلى صاحبه. فقد تكرر ما شككنا فيه من شعر نسب فيهِ إلى الخليل وعزي إليه[53]. ولا يقلل من هذا الإحساس، لدى الباحث، أن بعض ما يرويه صاحب هذا المرجع منسوباً للخليل ينسب أيضاً للخليل في مرجع أو مرجعين آخرين، ومنها ما هو منسوب للخليل فيه وحده.

وقد تقدم الشك في نسبة المقطوعة ٤٦ على ص٢٣٥ للخليل، فهي منسوبة لغيره في مراجع أخرى[54].

وآخر هذه الأبيات بيتان[55]، يتحدث فيهما قائلهما عن الكرم والمال:

٤٩. الضامن، حاتم، **عشرة شعراء مقلون**، ص٢٣٢، وشرح مقامات الحريري، ٦٢/٤.

٥٠. المصدر السابق، ص٢٢٣.

٥١. المصدر السابق، ص٢٢٦.

٥٢. هو السيغموري صاحب كتاب نور القبس، الذي حققه زلهايم في بيروت، عام ١٩٦٩.

٥٣. المقطوعة ٣٩، ص٢٣٢، والمقطوعة ١٨، ص ٢٢٦، والمقطوعة ١٥، ص٢٢٦، والمقطوعة ٢٥، ص٢٢٨، والمقطوعة ٢٧، ص٢٢٩، والمقطوعة ٣٣، ص ٢٣١ لا يرويها إلا وهي مختلفة المعنى.

٥٤. فقد نسب البيتان الأول والثاني لابن كيسان في"**الكافي في العروض القوافي**" للخطيب التبريزي.

٥٥. الضامن، حاتم، **عشرة شعراء مقلون**، ص٢٣٢.

رزقت جوداً ولم أرزق مروءته

وما المروءة إلا كثرة المال

فكيف لا يرى الخليل المروءة والنخوة إلا في كثرة المال؟

وقد شكك المحقق بنسبة بيتين أوردهما على ص٢٢٧ (المقطوعة ٢٢).

هذه عدة تساؤلات ترخي ظلالاً من الشك في نسبة هذه الأبيات للخليل، فربما كانت بعض المراجع التي ذكرت هذه الأبيات لم تتحقق من قائلها، وربما كان كتاب نور القبس لليغموري بتحقيق المستشرق زلهايم أبرزها.

وبذلك يزداد عدد المقطوعات الشعرية التي يُشك في نسبتها إلى الخليل، وليست الخمس التي أوردها المحقق في آخر المجموعة تحت عنوان ما نسب إليه وإلى غيره من الشعر فحسب(٥٦).

القيم الموضوعية في شعر الخليل

إذا نظرنا في الموضوعات التي يطرحها الخليل في أشعاره هذه نجد بعضها في الحكمة، وبعضها في أفكار إسلامية، وبعضها الآخر في أمور اجتماعية:

أولاً: أبيات الحكمة

نثر الخليل نظراته في الناس وفي القيم الفكرية التي وقعت تحت بصره وسمعه في بعض الأبيات، التي تدل على عمق خبرته بما عاصر ومن عاصر، وهي كثيرة نجتزئ منها على سبيل المثال:

أ. قوله(٥٧):

يقولون لي دار الأحبة قد دنت

وأنت كئيب؟ إن ذا لعجيب!

فقلت: وما تغني الديار وقربها

إذا لم يكن بين القلوب قريب

إن السعادة إنما تقع بين المتحابين في المكان الواحد. وقريب من هذا المعنى ما ردّ به الخليل على رجل جلس إليه وقال له: أحسبني قد ضيقت عليك. فقال الخليل: لا تقل ذلك، فإن شبراً من الأرض لا يضيق على المتحابين، والأرض على رحبها لا تسع متباغضين(٥٨).

ويردّد الخليل معنى القسم الثاني من جوابه هذا، بقوله:(٥٩)

ما اتسعت أرض إذا كان من

تبغض، في شيء من الأرض

ب. وفي فضل العلماء وغربتهم بين الجهلاء، يقول(٦٠):

العلم يذكي عقولاً حين يصحبها

وقد يزيدهما طول التجاريب

وذو التأدب في الجهال مغترب

يرى ويسمع ألوان الأعاجيب

ج. وفي أن عدم الرد على المتجاهلين أقسى من الرد يقول(٦١):

وما شيء أحب إلى لئيم

إذا سب الكرام، من الجواب

متاركة اللئيم بلا جواب

أشد عل اللئيم من السباب

---

٥٦. المرجع السابق، ص٢٣٩.

٥٧. المرجع ، ص٢٢٢.

٥٨ الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، ص٤٨.

٥٩. الضامن، حاتم، عشرة شعراء مقلون، ص٢٢٩، وهذا يذكر بقول الشاعر:

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها

ولكن اخلاق الرجال تضيق

٦٠. المرجع السابق، ص٢٢٢.

٦١. المرجع السابق، ص٢٢٣.

د. وفـــي أن الأجل بيد الله وأن كل آت قريب يقول[٦٢]:

وقبلك داوى المريضَ الطبيبُ

فعاش المريض ومات الطبيب

فكن مستعداً لداعي الفناء

فإن الذي هو آت قريـــب

وهذا المعنى في هذين البيتين يذكرنا بقول ابن الدمينة[٦٣]:

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا

على أن قرب الدار خير من البعد

على أن قرب الدار ليس بنافع

إذا كان من تهواه ليس بذي ود

هـــ. وفي البعد ما بين الأمل والواقع يقول[٦٤]:

يعيش المرء في أمل   يـــردده إلى الأبـــــد

يؤمل ما يؤمـــل من   صنوف المال والولد

ولا يدري لعل الموت   يأتـــي دون بعد غد

فلا يُبـــقى لوالـــده   ولا يُبـــقي على ولد

و. وفـــي تفاهـــة الحـــياة أمام الموت وخراب البيوت يقول[٦٥]:

عش ما بدا لك، قصدك الموت

لا مزحل عنه ولا فـــوت

بينـــا غنى بيـــت وبهـــجتـــه

زال الغنى وتقوّض البيـــت

ثم لا يلبث أن يرفع صوته متسائلاً متألماً:

يا ليت شعري ما يُراد بنا

ولقلما تغني، إذن، ليتُ[٦٦]

٦٢. المرجع السابق.

٦٣. الأصفهاني، **الأغانـــي**، الطبعة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، (١٧/١٠٤).

٦٤. الضامن، حاتم، **عشرة شعراء مقلون**، ص٢٢٥.

٦٥. المرجع السابق، ص٢٢٥.

٦٦. المرجع السابق، ص٢٢٥.

ذلـــك أن الإنســـان، مهمـــا طـــال عمره، سيسكت في النهاية صوته:

المرء ذو صوت يعيش به

في الناس، ثم سينفد الصوت[٦٧]

ولـــنلاحظ دلالة الصوت بوجه خاص على الإنســـان، مما يستلزم العودة إليه في موضع آخر.

ز. وفـــي دعـــوة للحـــزم والعزم في معالجة الأمـــور دون اللجـــوء إلى معاتبة الأقدار يقول:[٦٨]

وعاجز الرأي مضياع لفرصته

حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

وأحسب أن هذا البيت من الأمثال السائرة، ولـــيس بمســـتبعد أن يكون قد نسب إلى غير الخليل في بعض المراجع.

ح. وفـــي معنى أن الأيام والليالي التي نعيش بها ونفرح بها تقربنا إلى الموت وتفرق ما بين الأحبة، يقول: [٦٩]

ومـــا هي إلا ليلة ثـــم يـــومـــها

وحول إلى حول وشهر إلى شهر

مطايا يقربن الجديد إلى البلى

ويدنين أشلاء الكريم إلى القبـــر

ي. ويمكنـــنا أن نطلـــع على حِكَم أخرى في مواضـــع مخـــتلفة مـــن هذه المقطوعات الشعرية، وذلك في مثل أن الفخر بالعلم لا بالمال[٧٠]، وأن المتعة القصوى في محاورة العقلاء[٧١]، وأن الأمر يكون كما تنظر إليه:

٦٧. المرجع السابق، ص٢٢٥.

٦٨. المرجع السابق، ص٢٢٦.

٦٩. المرجع السابق، ص٢٢٧.

٧٠. المرجع السابق، ص٢٢٨.

٧١. المقطوعة- ٤٢، ص٧٣٣.

يضيق أو يتسع[٧٢]، وأن العقل ميزان العمل[٧٣]، وان الأعمال توزن بما ظهر منها[٧٤]، وأن الأرزاق لا تجري على الحجا[٧٥]، وأن هجاء الشعراء يبقى على الدهر أكثر من إساءات من يسئ إليهم[٧٦] وان المعروف بالإساءة للناس على الدوام قد يحسن ولو مرة واحدة[٧٧].

ثانياً: الأفكار الإسلامية

ويجد الباحث، فضلاً عن أبيات الحكمة العامة، في شعر الخليل تأثراً بالفكر الإسلامي، وتوجهاً نحو التحلي بما تمليه العقيدة الإسلامية من الإيمان بالله تعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر والرضى بقضائه وقدره:

أ. فمن ذلك أن السؤال ومعالجة رقة الحال لا تكون إلا لله تعالى:

إن كان ضن سليمان بنائله

فالله أفضل مسؤول لسؤّال[٧٨]

وهذا تأثر واضح بقول الرسول ﷺ: "إذا سألت فاسأل الله"[٧٩]

ب. ومنها أن الرزق مقدر ومقدور من الله تعالى ولا فضل فيه لبشر:

الرزق عن قدر، لا الضعف ينقصه

ولا يزيدك فيه حول محتال[٨٠]

٧٢. المقطوعة-٤٩، ص٢٣٦.

٧٣. المقطوعة -٤٤، ص٣٤ .

٧٤. المقطوعة-٥٢ ص٢٣٧.

٧٥. المقطوعة-٣٧، ص٢٣٢.

٧٦. المقطوعة-٤٧، ص٢٣٥.

٧٧. المقطوعة-٥٠، ص٢٣٦.

٧٨. الضامن، حاتم، **عشرة شعراء**، ص٢٣٣.

٧٩. الترمذي، **سنن الترمذي**، كتاب صفة القيامة، الحديث ٥٦، وابن حنبل، **مسند أحمد**(٢٣٩/١).

٨٠. الضامن، حاتم، **عشرة شعراء مقلون**، ص٢٣٣.

ج. والموت مصير كل مخلوق:

كل امرئ لسبيل الموت مرتهن

فاعمل لنفسك إني شاغل بالي[٨١]

وقد مر بنا قوله:

عش ما بدا لك قصدك الموت

لا مزحل عنه ولا فوت[٨٢]

د. وتأثراً بقول الرسول ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم يُنتفع به وصدقة جارية وولد صالح يدعو له"، يقول:

لا يصحب الإنسان من

دنياه إلا عمله[٨٣] (٦)

هـ. والصفح عن المخطئين من صفات المؤمنين:

سأُلزم نفسي الصفح عن كل مذنب

وإن كثرت منه عليّ الجرائم[٨٤]

فهذا صدى قوله تعالى: "**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً**"[٨٥]

و. الرضى بقضاء الله وقدره في أمر الموت والحياة والإعداد للحياة الآخرة، كقوله:

وقبلك داوى المريضَ الطبيبُ

فعاش المريض ومات الطبيب

فكن مستعداً لداعي الفناء

فإن الذي هو آت قريب[٨٦]

فالأجل بيد الله وحده، ولذا فعلى كل عاقل أن يعمل للآخرة كأنه ميت غداً. وتتكرر هذه

٨١. المرجع السابق .

٨٢. المرجع السابق، ص٢٢٥.

٨٣. المرجع السابق، ص٢٣٤.

٨٤. المرجع السابق .

٨٥. الفرقان: ٦٣.

٨٦. الضامن، حاتم، **عشرة شعراء مقلون**، ص٢٢٣.

الفكرة عنده بوجه أوضح، فهو يكفرّ المنجمين الذيـــن يكذبون على الناس بالحديث عن الغيب لأن المتصرف بذلك كله هو الله وحده

أبلغا عني المنجم أني

كافر بالذي قضته الكواكب

عالم أن ما يكون وما كان

بحتم من المهيمن واجب(٨٧)

ز. ولذلـــك فهـــو يكـــذب الفـــرق التي تقول: بالـــتفويض: والتي تقول بالجبر، وهو"نفي الفعـــل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى"(٨٨)، فهو يكمل البيتين السابقين بقوله:

شاهد أن من يفوض أو يجبر زار على المقادير كاذب(٨٩)

ح. وهـــو يحـــترم رجـــال الإسلام ورموزه، فـــيقول عـــن علي بن أبي طالب ،كرم الله وجهه:

قيمة المرء ما يحسن المرء

قضاء من الإمام علي(٩٠)

وصـــدر البيـــت من أقوال علي رضي الله عنه.

ثالثاً: ومنها أمور اجتماعية

ولقـــد كـــان للخليل في بعض أشعاره آراء وملاحظـــات حول بعض الأخلاق الاجتماعية لمعاصريه:

- فهو يطري العلم والعلماء(٩١):

العلم يذكي عقولاً حين يصحبها

وقد يزيدهما طول التجاريب

- ويذم الجهل والجهلاء(٩٢):

وذو التأدب في الجهال مغترب

يرى ويسمع ألوان الأعاجيب

وقوله(٩٣):

جهلت فلم تدر بأنك جاهل

وانك لا تدري بأنك لا تدري

- ويمدح القناعة والرضى بالقليل(٩٤):

والفقر في النفس لا في المال نعرفه

ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

وقوله(٩٥):

إن لم يكن لك لحم   كفاك خَلّ وزيت

أو لم يكن ذا وهذا   فكِســـرة وبُييت

- ويذم البخل والبخلاء(٩٦):

أعطي قليلاً ثم أقلع نادماً

ولربما غلط البخيل وجادا

ويقـــول مشـــبهاً جود البخيل برد الأطلال على الشعراء(٩٧):

---

٨٧. المرجع السابق، ص٢٢٤.

٨٨. المرجع السابق.

٨٩. الشهرســـتاني، الملل والنحل، في هامش كتاب الفصل في الملل والنحل، **دار المعرفة**، بيروت، ص١٠٨.

٩٠. المـــرجع الســـابق، ص ٢٢٢، وفـــي البيان والتبيين للجـــاحظ(٢٥٨/١) أن الخلـــيل قـــال: "تكثر من العلم لـــتعرف" وقال(٢٧٤/١)"" "اجعل تعلمك دراسة لعلمك، واجعل مناظرة المتعلم تنبيهاً على ما ليس عندك"

٩١. المرجع السابق .

٩٢. المرجع السابق، ص٢٢٦.

٩٣. المرجع السابق، ص٢٣٣.

٩٤. المرجع السابق، ص٢٢٤.

٩٥. المرجع السابق، ص٢٢٥.

٩٦. المرجع السابق، ص ٢٣١.

٩٧. المرجع السابق، ص ٢٣٣.

سئلوا فأبوا فلقد بخلوا

فلبئس لعمرك ما فعلوا

أبكيت على طلل طرباً

فشجاك وأحزنك الطلل

- ويذم السؤال والحرص على المال[٩٨]:

ما أسمج النسك بسآل

وأقبح البخل بذي المال

وأقبح الثروة ما لم تكن

عند أخي جود وإفضال

والحرص من شر أداة الفتى

لا خير في الحرص على حال

- وذم التكبر والعجب بالنفس[٩٩]:

وخصلة يكثر الشيطان إن ذكرت

منها التعجب جاءت من سليمانا

لا تعجبن بخير زل عن يده

فالكوكب النحس يسقي الأرض أحياناً

وذم اللؤم واللؤماء:

وما شيء أحب إلى لئيم

إذا سب الكلام، من الجواب

متاركة اللئيم بلا جواب

أشد على اللئيم من السباب

- ويذم التصابي ويدعو إلى الندم عليه:

ألا ينهاك شيبك عن صباكا

وتترك ما أضلك من هواكا

أترجو أن يطيعك قلب سلمى

وتزعم أن قلبك قد عصاكا

- وينتقد الإفراط في الأمل والتكاثر في المال والولد[١٠٠]:

يعيش المرء في أمل

يردده إلى الأبد

يؤمل ما يؤمل من

صنوف المال والولد

ولا يدري لعل المو

ت يأتي دون بعد غد

- ويفضل الوحدة ويدعو إلى الأنس بها[١٠١]:

أنست بوحدتي ولزمت بيتي

فطاب الأنس لي ونما السرور

فأدبني الزمان فلا أبالي

هجرت فلا أُزار ولا أزور

ولست بسائل ما دمت حياً

أسار الجيش أم ركب الأمير

- ويلاحظ أن الناس قلما يحفلون بنصح[١٠٢]:

نصحتك يا محمد إن نصحي

رخيص يا رفيقي للصديق

فلم تقبل وكم من نصح ود

أُضيع فحاد عن وضح الطريق

إنها ملاحظات تجمع على ذكر الصفات الإيجابية في الإنسان والتمدح بها، كالعلم، والرضى بالقليل، وعفة النفس وعدم السؤال، كما أن أشعاره تندد ببعض الصفات السلبية المقابلة، كالجهل والبخل والسؤال والكبر والعجب بالنفس والتصابي ورفض النصح. إنها أخلاق الإنسان العربي المعتز بتراثه الروحي والإسلامي والاجتماعي.

من الناحية الفنية:

وإذا وصلنا إلى الدراسة الفنية لما تحت أيدينا من شعر الخليل، فإننا نرى أن نتوقف

---

٩٨. المرجع السابق، ص٢٣٦.

٩٩. المرجع السابق، ص ٢٢٣.

١٠٠. المرجع السابق، ص ٢٢٥

١٠١. المرجع السابق، ص ٢٢٦

١٠٢. المرجع السابق، ص٢٣٠.

عند التشكيل اللغوي فيه أولاً، ثم عند الصورة الفنية ثانياً، وبعد هذا كله قد تتضح في الذهن الصورة العامة لهذه الأشعار.

أ. التشكيل اللغوي

يصوغ الخليل مفرداته وتراكيبه من مستوى لغوي بسيط، ليس فيه أثر للألفاظ المستهجنة الغريبة، أو الصنعة والتكلف. ولم يكن يهمه أن يذكر بالشعر الجاهلي في ألفاظه وجمله كما كان يفعل بعض الشعراء المخضرمين الذين عاشوا الجاهلية والإسلام أو عصر صدر الإسلام والعصر الأموي. وهذا يتناسب مع المقطوعات الشعرية الصغيرة التي آثرها الخليل على القصيد.

ويُلحظ أن هذه المقطوعات الشعرية قد سبكت بموسيقى داخلية متناغمة، ويكون لهذا أثره على السامع والقارئ. ولنقرأ الأبيات الآتية:

عقل من يعقل مرآ ة، يرى فيها فعاله
فإذا أخلصها لله صفاءً وصقالة
فهي تعطي كل شيء ناظر فيها مثاله

وفي البيت الأول فكرة أساسية يضع فيها موجز ما يريد قوله، يفتق منها البيتين الثاني والثالث، وها نحن أولاء نرى أنها صيغت في موضوع بسيط سلس، لذلك جاءت حروفها وجملها بسيطة سهلة، وجاء الشعر من وزن مجزوء الرمل، بما فيه من غنائية ونداوة ليتناسب مع الموضوع.

ويلفت الانتباه كلمة وردت في بيت شعر منفرد، في هذه المقطوعات:

المرء ذو صوت يعيش به
في الناس ثم سينفد الصوت[١٠٣]

وهي كلمة الصوت، فقد اتخذ الخليل الصوت دالاً على الإنسان. فهل كانت هذه الدلالة بسبب أهمية الصوت لدى صاحب العروض؟ أم كانت بسبب الطريقة الصوتية التي نظم الخليل عليها معجمه اللغوي على أساس صوتي يبدأ بحروف الحلق ، وأولها الهمزة والعين، ويدير مفرداته فيه على أساس هذه الحروف؟

لا أستبعد ذلك، فقد ذكر أنه من المبدعين في الألحان، "وكانت معرفته بالإيقاع هي التي أحدثت له علم العروض"[١٠٤].

ولقد أرجع اسحق بن إبراهيم الموصلي إلى الخليل نجاحه في كتابه في النغم واللحون، وعرضه على إبراهيم بن المهدي فأعجبه، أرجعه إلى الخليل، "لأنه جعل السبيل إلى الإحسان"[١٠٥].

أما بحور الشعر التي نظم عليها الخليل أغلب مقطعاته فهي الوافر والبسيط والطويل والكامل.

ومما يقع في باب اللغة في شعر الخليل أنه هو الذي نظم حروف العربية في بيت شعر واحد[١٠٦]:

صف خلق خود كمثل الشمس إذ بزغت
يخطى الضجيع بها نجلاء معطار

كما يذكر أنه فضّل جهود عيسى بن عمر الثقفي (١٤٩هـ) وكتبه في النحو على أعمال النحويين الذين كانوا معاصرين له[١٠٧]:

١٠٣. المرجع السابق، ص٢٣٤.

١٠٤. المرجع السابق، ص٢٢٥.

١٠٥. الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء** ٧٤/١١.

١٠٦. الزبيدي ، **طبقات النحويين واللغويين**، ص ٤٩.

١٠٧. المرجع السابق، ص٢٢٧.

بطل النحو الذي جمعتم

غير ما ألف عيسى بن عمر

ذاك "إكمال" وهذا "جامع"

وهما للناس شمس وقمر

الصورة الفنية في أشعار الخليل:

ولما كانت الصورة عنصراً مهماً وأساساً في الشعر فإننا نجدها منثورة بشكل كاف، في هذه المقطوعات الشعرية، على قلة عدد أبيات كل منها. ففي مقطوعة يقول[١٠٨]:

نزلوا مركز الندى وذراه

وعدتنا من دون ذلك العوادي

غير أن الربى إلى سبل الأنو

اء أدنى، والحظ حظ الوهاد

إن ماء المطر يصيب، أول ما يصيب، رؤوس الجبال، ثم يستقر في الأودية، وكذلك الكرم يأتي من كبار الرجال وكرمائهم. والناس بين كريم وبخيل.

وفي أخرى يقول[١٠٩]:

ورزق الخلق مجلوب إليهم

مقادير يقدرها الجليل

كما تسقى سباخ الأرض رياً

ولا بالمال تقتسم العقول

إن الله تعالى يرزق الناس بالمقادير التي يقدرها هو سبحانه، تماماً كما تسقى الأراضي الواطئة مع العالية المرتفعة، وهذا تشبيه تمثيلي دقيق. فالناس العقلاء والجهلاء، يرزقهم الله جميعاً مشبه بحالة المطر يسقي الأرض الواطئة تماماً كما يسقي الربى العالية، بجامع تساوي الكبار والصغار في رزق الله.

ويكمل الشاعر الصورة بتشبيه آخر مشابه، وهو أن الله تعالى يوزع العقول على عباده كما يشاء، وليس بما معهم من الأموال، فالغني والفقير يرزقان بنعمة العقول بالتساوي جميعاً.

وفي ثالثة يقول[١١٠]:

ترفعت عن ندى الأعماق وانخفضت

عن المعاطش واستغنت بسقياها

فاعتمّ بالطلح والزيتون أسفلها

وماد بالنخل والرمّان أعلاها

وصار يحسده من كان يعذله

ولائم لام فيها قد تمنّاها

إنها روضة سقيت بماء المطر الغزير بعد أن كانت قد قضت زمناً وهي عطشى لم تسق بالماء، وقد أصبح بها الكثير من شجر الموز وشجر الزيتون والنخيل والرمان، وصارت محسودة على لسان من كان يلومها ويتمناها.

إنه يشخص الروضة ويجعلها مخلوقاً يترفع ويستغني بالماء بعد العطش. ولنلاحظ عنصر الحركة في اعتمّ أي أصبح مثل الشيخ المعمم من أثر شجر الموز والزيتون، وفي ماد أي تحرك واضطرب وضج بالحياة.

وفي رابعة يقول[١١١]:

لا تعجبن لخير زلّ عن يده

فالكوكب النحس يسقي الأرض أحياناً

إنها صورة هزلية ساخرة رسمها الخليل لسليمان، ولم تعرفنا المراجع بسليمان هذا، إنه معروف بالشر، ولكنه قد يأتي على يديه الخير في احيان قليلة جداً، تماماً كما قد يكون

---

١٠٨. المرجع السابق، ص٢٢٨.

١٠٩. المرجع السابق، ص٢٢٥.

١١٠. المرجع السابق، ص٢٣٢.

١١١. المرجع السابق، ص٢٣٧.

من الكوكب المعروف بأخبار السوء، قد يكون منه في أحيان قليلة جداً الخير.

إنهـا صـورة ناجحـة من صور التشبيه الضمني التي تستخدم لتقول أن صورة المشبه ممكـنة، وهي هنا الخير القليل الذي يمكن أن يـزلّ، ولـنلاحظ جمال كلمة "زلّ" ودلالاتها المعـنوية واللفظـية عن يد (السيد) سليمان، وصـورة الكوكـب السـيء. الذي قد تحسن أخباره في أحيان قليلة، هي المشبه به.

إن المشـبه قضية معنوية (إمكانية مجيء الخـير علـى يد سليمان) والمشبه به برهان حسي على القضية المعنوية.

وفي خامسة يقول[112]:

سئلوا فأبوا فلقد بخلوا

فلبئس لعمرك ما فعلوا

أبكيت على طلل طرباً

فشجاك وأحزنك الطلل

إن الذيـن يسـألون المـال ويـبخلون به مشـبهون، فـي التجاوب والعطاء، بالأطلال حينما تُسأل عن الذين كانوا فيها قاطنين. إنها صـورة هزلـية ساخرة للبخلاء ومدى بخلهم الشديد، وهو تشبيه نادر يعمق الفكرة (البخل) ويوضحها ويرسم أبعادها.

وهـذه هـي وظـائف الصورة الفنية في الشـعر، شـرح الفكرة وتعميقها وتوضيحها. وأحسـب أنها قد نهضت بهذا كله في الأمثلة التـي أشـرنا إليها، على الرغم من قلة عدد أبيات كل مقطوعة فيها. بل إن الصورة هي، في أحيان كثيرة، في أبيات المقطوعة كلها. و قد تبين من النماذج التي طرحناها في بيت أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة.

١١٢. المرجع السابق، ص٢٣٦.

خلاصة:

وبعـد، فـإن مـا صح من هذه المقطّعات الشعرية التي تركها الخليل بن احمد الفراهيدي تـبدو للباحث، بعد الدرس والنظر، أنها تتميز بالصـدق الفنـي، وذلـك أنها صورة نفسه، وصورة أخلاقه وحياته وأفكاره.

فهـو مكتف من العيش بالقليل القليل[113]، الـذي يكفيه مؤونة السؤال[114]، والتقرب من السـلطان[115]، في خصّ في البصرة، منعزل عـن الناس، منقطع إلى الله تعالى، مستأنس بوحدته[4]، معتزّ بعلمه[116]، مترفع بعفّته[117]، غـير راض عـن الباخليـن[118]، وعـن السـائلين[119]، وعـن الحرّاص على أموالهم وعـن اللؤمـاء والمعجبيـن بأنفسـهم[120]، والملفوفيـن بجهلهم[121]، وغفلاتهم عن دينهم وعقيدتهم[122].

هـذا مـن جهـة مضامين هذه المقطعات وقـيمها الموضـوعية، أمـا من جهة أشكالها الفنـية وبعدهـا عـن شعر القصيد والأبيات العديدة، في العمل الأدبي الواحد، فإنها أيضاً صـورة أدبـه وفنه الشعري. لذلك تخلو من الصـنعة والتكلف، وتنقل ما لدى صاحبها من

١١٣. المرجع السابق، ص٢٣١.

١١٤. كما نرى في المقطوعة٩، ص٢٢٤.

١١٥. كما نرى في المقطوعة٤٠، ص٢٣٢.

١١٦. كما نرى في المقطوعة٤٠، ص٢٣٢.

١١٧. كما نرى في المقطوعة١٧، ص٢٢٦.

١١٨. كمـا نـرى في المقطوعة ٢٢، ص٢٢٨، و٤٢ ص ٢٣٣.

١١٩. كمـا نرى في المقطوعة ٤٠، ص ٢٣٢، و١٢ ص ٢٢٥.

١٢٠. كما نرى في المقطوعة١٢، ص٢٢٥.

١٢١. كما نرى في المقطوعة٤١، ص ٢٣٣.

١٢٢. كما نرى في المقطوعة ٥١، ص ٢٣٦.

أصالة في المشاركة في ممارسة قول الشعر، مع أنها ليست المهنة، وليست الحرفة التي انقطع لها صاحبها.

إنها أشبه بشعر الفقهاء، التماعات ولمسات تخطر في بال صاحبها، فتخرج في بيت أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة، تشرح الفكرة القائمة في النفس بوضوح واقتدار.

المصادر والمراجع:

١) الاصفهاني، ابو الفرج، **الأغاني**، ج١٧، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة (بلا . ت)

٢) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، (بلا.ت).

٣) ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٧٠.

٤) ابن المعتز، عبد الله، **طبقات الشعراء**، تحقيق عبد الستار فرّاج، دار المصارف بمصر، ١٩٥٦.

٥) الترمذي، **سنن الترمذي**، ط١ ، طبعة مصطفى الحلبي ، (بلا . ت).

٦) الحموي، ياقوت، **معجم الادباء**، دار الفكر ، القاهرة ، ١٩٨٠.

٧) الخطيب التبريزي ، الكافي في العروض والقوافي ، تحقيق الحساني حسن عبدالله ، **مجلة المخطوطات العربية** (بلا . ت).

٨) الزبيدي، أبو بكر، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ١٩٦٥.

٩) السيرافي، أبو سعيد، **أخبار النحويين البصريين والكوفيين**، تحقيق محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٥.

١٠) السيوطي، جلال الدين، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٦٥.

١١) السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٠.

١٢) الشدياق، احمد فارس، **الجاسوس على القاموس** ، مطبعة الجوانب ، القسطنطينية، ١٩٢٩ .

١٣) الشريشي، احمد بن عبد المؤمن القليبي، **شرح مقامات الحريري**، المكتبة الثقافية، بيروت ، ١٩٥٢.

١٤) الشهرستاني، **الملل والنحل** ، دار المعرفة ، بيروت (بلا. ت) .

١٥) الضامن، **عشرة شعراء مقلون**، جامعة بغداد، ١٩٩٠.

١٦) القفطي، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، (بلا .ت).

١٧) اللغوي، أبو الطيب، **مراتب النحويين**- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٥.

Kalil Ibn Ahmad Poetry Analytical view

Omar Abdul Rahman Sarisi

Abstract

This study aims at investigating all the poetry that was collected and published lately by Khalil Ibn Ahmad Al-Farahidi (170 Hijri). Before that we could only read few verses by him.

After surveying these verified verses, it was revealed that some of them were wrongly ascribed to him. As for their subject matters they were correctly viewed and judged. In some islamic thoughts and morals occur these subjects, in others earnest social attitudes.

The artistic value of Khalil's poetry appears in it's simple linguistic structures, and in some of the verses.

Khalil's poetry approaches jurisprudent poetry, in particular in it's direct style and confinement to short verses.